التعامل القرآني مع دلالات الكلمات

الدكتور بشير أحمد لون[1]

ملخص

هذا البحث يتعامل مع الألفاظ والتراكيب التي استخدمها القرآن لأول مرة ولم يكن وجودها من قبل. وهناك كثير من الألفاظ والتراكيب التي أعطاها القرآن دلالات ومفاهيم جديدة. وسيتم التركيز الرئيسي هنا على تجميع وإبراز الألفاظ صنعها القرآن الكريم. وسيتمحور الكلام حول بيان بعض مظاهر التطور اللغوية والدلالية في الألفاظ والتراكيب القرآنية التي تدل على تحدّي القرآن للعرب وغيرهم عدم قدرتهم على الإتيان بمثله إلى الأبد. وفي الواقع هذا الشيء أيضا يدل على قدرة اللغة العربية على مواكبة التقدم والتطور إذ تعبر عن المعاني المتجددة في كل عصر ودهر. وهذا بفضل القرآن الكريم الذي قام بوقاية وصيانة اللغة العربية. ومن ناحية أخرى هناك مناقشة عن بعض الألفاظ والتراكيب التي ابتكرها القرآن الكريم، وهو موضوع لا يمكن أن يستغنى عنه طالب القرآن الكريم أبدا.

كلمات مفتاحية: القرآن، الكلمات، التراكيب، دلالات، اللغة.

مقدّمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. فإن البلاغة والإعجاز والإيجاز وعمق المعنى ودلالات الألفاظ القرآن الكريم هي الأشياء التي من صنع الله الذي أتقن كل شيء. واللغة العربية غنية بالقواعد والمعاني أكثر من أي لغة أخرى. ومن الصعب،

---

[1] محاضر تعاقديّ في قسم اللغة العربية بجامعة كشمير، سرينغر.

العثور على دقتها وفروقها الدقيقة مقابلة عن أي لغة أخرى في العالم تقريبا. ومن ناحية أخرى طلاوة اللغة العربية هي تكمن في بناء الكلمة من الجذر الأساسي الذي يكون على نمط ثلاثة أحرف فهو يشكل أساس الكلمات، ولهذا السبب قد يحتوي جذر الكلمة على الدلالة قد يستغرق بضع جمل لترجمته وهذا يفيدنا أن اللغة قادرة على نقل عمق المعنى والعاطفة التي لا تستطيع العديد من اللغات الأخرى تحقيقها بمثل هذا الإيجاز القصير في الكلمات الوجيزة.

ألفاظ التي قدّمها القرآن الحكيم

أولا توضيح المصطلحات مهم لأجل إزالة الغموض والالتباس في أذهان القراء والدارسين عن هذا الموضوع، فمثلا: ألفاظ جديدة: هي الصيغ اللغوية الجديدة التي اشتقت من مواد اللغوية المعروفة في اللغة العرب كاشتقاق القرآن من قرأ والنفاق من نفق والفسوق من فسق فهذه المشتقات لم تكن معروفة من قبل بهذه الصيغ. وأقصد بألفاظ جديدة التي لا يعرفها العرب من قبل واستخدمها القرآن لأول مرة لإفادة معان جديدة والتعبيرات المتعددة.

تراكيب جديدة في القرآن الحكيم

هي تراكيب صنعها القرآن الكريم من عدة ألفاظ ولم تكن معروفة من قبل بهذا التركيب، مثل: في سبيل الله (أي: لوجه الله وتقربا إليه أو ابتغاء مرضاة الله[1]، سقط في أيديهم (أي: ندموا أشد الندم)[2] وغيرها.

دلالات جديدة في القرآن الحكيم

إنّ الكفاءة والجودة الفريدة للقرآن الكريم هي ما أغنى اللغة العربية بشكل كبير وأوسع أفق المعاني التي أضافها السياق القرآني في بعض الألفاظ والتراكيب، ولم

---

١ راجع إلى سورة التوبة، آية رقم:٦٠

٢ راجع إلى سورة الأعراف، آية رقم:١٤٩

تكن العرب تستخدمها بهذا المعنى مثل: الغيث والمطر، الحلف والقسم الخوف والخشية وغيرها.

السياق القرآني: تتابع المعاني وانتظامها في إطار الألفاظ القرآنية، لتبليغ غايتها الموضوعية في بيان المعني المقصود، دون انقطاع أو انفصال[١].

المصطلح القرآني: يقصد به كلمات وتراكيب القرآن الكريم التي جاءت بمعان خاصة غير المعاني التي وردت في الشع الجاهلي، وفي استعمال العرب قبل نزول القرآن الكريم. فباتت في متعارف الناس مصطلحات خاصة بتلك المعاني التي حملتها في استعمال القرآن الكريم.[٢]

والآن نرجع مباشرة إلى استعراض ألفاظ القرآن الكريم ووضعها لأنه "ليست العبرة بكثرة الألفاظ أو قلتها، بل العبرة بأهمية هذه الألفاظ من ناحية الدينية والعلمية والاجتماعية، فألفاظ الكتاب عبارة عن مصطلحات دينية، فهي كلمات شائقة الدلالة وعليها ظلال من القدسية والروحانية وتتطلب ممن يعرض لها الحيطة والحذ"[٣]

وإنّ لكل كلمة معنى في ذاتها، ومعنى في سياقها الذي ترد فيه وغالبا ما يكون المعنى السياقي أوسع دلالة وأشد تأثيرا في القاري والسامع، ذلك أن السياق يوظف عناصر الدلالة كلها من أجل التعبير عن المقصود[٤].

ومن هنا، سيتم معالجة الكلمات الجديدة في السياق القرآني، من ناحية بنية إذ صنعها القرآن الكريم وبعضها جديدة في دلالاتها التي أضافها القرآن الكريم وسأهتم

---

١ محمود المثنى عبد الفتاح/نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية/ص:١٥

٢ أبو عودة، عودة خليل/التطور الدلاليين اللغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم/ص:٢٢

٣ إبراهيم أنيس في مقدمته للكتاب: الزينة في كلمات الإسلامية العربية، ص:٩

٤ أبو عودة، عودة خليل،٢٠٠٩ /البيان القرآني مفهومه ووسائله: إسلامية المعرفة، العدد:٥٦، السنة الرابعة عشر /ص:٦٨-٦٩.

هنا بالدلالة اللغوية واستعراض وجيز لهذه الألفاظ في هذه الدراسة بمشيئة الله لفهم حقيقتها ومعناها الأساسي.

القرآن الكريم معجزة حية عظيمة يتماشى مع الزمان والمكان تعبيرا ودلالة. وإن الدراسة هذه تبين الأثر العظيم للقرآن الكريم على اللغة العربية. وقد حافظ على رونق اللغة العربية وجمالها اللغوي. والأساس العلمي تكشف هذه الدراسة أن القرآن الكريم نزل بلغة عربية فصحى وبقيت فصاحتها على اختلاف المكان والزمان. وسيدوم شابا على حد قول الإمام سعيد النورسي:

"كلما شاب الزمان شب القرآن وتوضحت رموزه"[١]. أود أن أذكر هنا بعض النقاط كالآتية:

أولا: أن القرآن أحدث صيغا جديدة لم تكن يعرفها العرب الأسلوب التي قدّم بها القرآن، ومثال ذلك كلمة "نفاق" وما يشتق منها من صيغ فعلية واسمية، وكذلك كلمة فسوق، وكلمة جاهلية وكلمة قرآن نفسها. وكل هذه الصيغ مستمدة من مواد موجودة في اللغة مسبقا، لكنها لم تستخدم في الشعر الجاهلي قط بالصيغ والدلالات التي صنعها القرآن الكريم.

ثانيا: وقد صنع القرآن أيضا تراكيب لغوية الجديدة، لم تكن معروفة من قبل، فتركيب (في سبيل الله) مثلا يتألف ثلاث كلمات، كل منها موجود في اللغة على حده، ولكنها لم تستعمل قط بهذا التركيب وما يؤديه من دلالة، ومثل ذلك نرى في مثال (لباس التقوى) و(ما ملكت أيمانكم) و(مسجد الضرار) وغيرها كثير.

ثالثا: علاوة على ذلك، أضاف القرآن الكريم دلالات جديدة على بعض الألفاظ والتراكيب، لم تكن تستعمل كذلك في الحياة الجاهلية كلها. مثل كلمة الحلف والقسم كما تستعملان مترادفتين أي بمعنى واحد، ولكن القرآن الكريم خصص كلمة الحلف

---

[١] النورسي، بديع الزمان سعيد،١٩٩٦ /تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين. (المؤتمر العالمي)، د.ط/ د.م/ مؤسسة نيسل/ ص:٢٦٥

لليمين الكاذبة. (يعني ممكن أن تكون بدون صدق). وخصص القسم لليمين الصادقة، وغالبا ما يرتبط القسم بالله عزوجلّ.

رابعاً: ثم تبين أن القرآن الكريم نزع في الأعم الأغلب إلى تخصيص دلالة المصطلحات، وذلك لرفعة الخاص على العام في التصور العقلي والاجتماعي[1]. وفيما يلي جدولان يبينان هذه الألفاظ والتراكيب الجديدة التي صنعها القرآن الكريم، والتي أضاف عليها دلالة جديدة وأعطاها المعاني الواسعة المستفيضة:

جدول الألفاظ الجديدة في القرآن الحكيم

رقم المسلسل	ألفاظ صنعها القرآن لكريم	ألفاظ أضاف عليها القرآن الكريم دلالات جديدة	ظهر التطور
١.	الجاهلية	الأمة	تخصيص الدلالة
٢.	جهنم	التيمم	تخصيص الدلالة
٣.	الحواريون	التبتل	تعميم الدلالة
٤.	الترتيل	الجحيم	تخصيص الدلالة
٥.	الرهبانية	الحج	تخصيص الدلالة
٦.	الزكاة	الأحزاب	تخصيص الدلالة
٧.	السحت	الحاقة	تخصيص الدلالة
٨.	الطامة	الحلف والقسم	تخصيص الدلالة
٩.	التغابن	الركوع	تخصيص الدلالة
١٠.	الفرقان	السبت	تخصيص الدلالة
١١.	الفسوق	الأسباط	تخصيص الدلالة
١٢.	القرآن	السجود	تخصيص الدلالة

[1] ألفاظ وتراكيب ودلالات جديدة في السياق القرآني/ السيد، تمام محمد/٢٠١٠م، ص١٩٧-١٩٩.

.١٣	القصاص	الصابئون	تخصيص الدلالة
.١٤	الكفارة	الصاخة	تخصيص الدلالة
.١٥	النفاق والمنافق	الصلاة	تخصيص الدلالة
.١٦	------	الصيام	تخصيص الدلالة
.١٧	-------	الأعراف	تخصيص الدلالة

جدول التراكيب الجديدة في القرآن الحكيم

الرقم المتسلسل	تراكيب صنعها القرآن الكريم	تراكيب أضاف عليها القرآن الكريم دلالات جديدة	مظهر التطور
١	استوى على العرش	الم نشرح لك صدرك	تخصيص الدلالة
٢	أصحاب الكهف	بشق الأنفس	تعميم الدلالة
٣	أم الكتاب	ختامه مسك	تخصيص الدلالة
٤	حبطت أعمالهم	الدار الآخرة	تخصيص الدلالة
٥	ذات الصدور	الصراط المستقيم	تخصيص الدلالة
٦	سقط في أيديهم	غير أولي الإربة	تخصيص الدلالة
٧	عليهم دائرة السوء	فقطع دابر القوم	تخصيص الدلالة
٨	في سبيل الله	في لوح محفوظ	تخصيص الدلالة
٩	قضى نحبه	لا تعضلوهن	تخصيص الدلالة
١٠	كان مزاجها كافورا	مد الأرض	تعميم الدلالة
١١	لباس التقوى	النفاثات في العقد	تخصيص الدلالة
١٢	ليلة القدر	وكل إنسان ألزمناه طائرة في عنقه	تخصيص الدلالة
١٣	المؤلفة قلوبهم	----------	تركيب ظهر في الإسلام
١٤	ما ملكت أيمانكم	----------	لم تعرف في الجاهلية
١٥	مسجد الضرار	----------	التركيب ورد مرة

			واحدة في القرآن

الملاحظة: تطور يلحق معنى الكلمة نفسه ويظهر في مظاهر عدة[1] تتمثل في:

١- **التخصيص:** (تضييق الدلالة) حيث تنتقل الدلالة الكلمة من دلالة عامة إلى دلالة خاصة فكلمة الحريم مثلا، كانت تطلق على كل محرم، ثم أصبحت تطلق على النساء فخصصت بذلك.

٢- **التعميم:** (توسيع الدلالة) وهو نقيض التضييق وأقل شيوعا وأثرا في تغيّر الدلالة وتطورها، فالبأس في أصلها في الحرب، ثم أصبحت تطلق على كل شديد.

وقد اتضح من خلال هذه المصطلحات بأنها تتمحور حول العديد من جوانب الحياة الاجتماعية والنفسية، ومثال ذلك المصطلحات التي تتعلق بأركان الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها، كما أن هناك مصطلحات تتعلق بالتعاملات الاجتماعية مثل التحايا والدعوة ومعاملة الجار وإكرام الضيف ونجدة الملهوف وبر الوالدين وغير ذلك، حيث أن هذا المقام لا يتسع لسرد العديد من الأمثلة.

نستدل من المباحثة المتقدمة أنه لا يوجد الترادف في القرآن الكريم. بل أنه يعطى كل كلمة معنى قائما بذاته ولا يمكن لأي قارئ القرآن أن يلتبس به؛ دعماً لهذه الفكرة يجب أن نحقق الدلالة الممكنة لألفاظ من هذا النوع. وبرأيي الطريق لوصول إلى هذه الغاية أن نعتمد على المصادر الصحيحة للتفسير والتمييز كلمات القرآن ولوتبين لنا الأمر فنعتمد على من يقول فيه قولا مقبولا، لأن عجائب القرآن لا نهاية لها سواء في الأقوال والعلوم والفنون والإعجاز والبيان.

خاتمة

وخلاصة القول إن هذه المحاولة المتواضعة تشير إلى جانب اللغوي المهم، وما هو

[1] الوافي، علي عبد الواحد، ١٩٥٧م، علم اللغة ط:٤، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ص٢٨٦.

انطباع اللغوية من حيث معالجة القرآن الكريم لبعض الكلمات والتعبيرات لإفادة معان جديدة التي لا نجدها من قبل. وكما أوسع نطاق المفاهيم والدلالات للألفاظ التي كانت موجودة مسبقا. ولا شك في أن للمفردة القرآنية جمالية خاصة كما هي قدرة واختصاص القرآن الكريم في اختيار الألفاظ، فيضع كل مفردة (لفظ) في مكانها المناسب بحيث لا يمكن أن تستبدل ولو حصل ذلك لاختلّ المعنى وتشوّه البناء. والذي سبب إلى إدراك إعجاز القرآن وبلاغته على نطاق واسع.

وبالإضافة هذه الدراسة تحث على استيعاب ومعرفة مفردات القرآن الحكيم وتعبيراته بطريقة موثوقة ومعتمدة عليه. كما تشجّع على اهتمام بتطور الدلالة ومظاهر الكلمات في سياقات ومناسبات مختلفة. وأن نلاحظ تغييرات وتطورات مفاهيم الكلمات عبر العصور. ومن جانب آخر يمهّد الطريق للوصول إلى فهم آيات القرآن وتفسيرها بسهولة ويسر. فضلا عن ذلك يُتوخّى جذب وعناية المتعلم نحو دراسة القرآنية بتفهّم عميق. والمقصود من هذا السعي أن يقترب الدارس من لغة القرآن حتى يصبح مألوفا بها ومطّلعا على مفرداته ومصطلحاته في نفس الوقت. لأن القرآن الكريم رسالة الحياة كأشمل ما تكون الحياة، وأعمق ما تكون الحياة، وأظهر ما تكون الحياة. ومن هنا يفتح مجال إعجاز القرآن الكريم. ويؤدي إلى خطوة أساسية للدخول في مجال تحقيق واستقصاء الكنوز المعرفة والحكم للقرآن الحكيم.

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم، سورة التوبة، آية رقم:٦٠

٢. تفسير ابن كثير، سورة الأعراف، آية رقم:١٤٩

٣. محمود المثنى عبد الفتاح/نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية.

٤. أبو عودة، عودة خليل/التطور الدلاليين اللغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم.

٥. إبراهيم أنيس في مقدمته للكتاب: الزينة في كلمات الإسلامية العربية.

٦. أبو عودة، عودة خليل،٢٠٠٩ /البيان القرآني مفهومه ووسائله: إسلامية المعرفة، العدد:٥٦، السنة الرابعة عشر

٧. النورسي، بديع الزمان سعيد،١٩٩٦/ تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين. (المؤتمر العالمي)، د.ط/د.م/ مؤسسة نيسيل.

٨. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، مكتبة العروبة – الكويت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م.

٩. الترادف في اللغة: حاكم مالك الزيادي، دار الحرية للطباعة – بغداد، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

١٠. التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر: د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض١٩٨٠ م.

١١. تصحيح الفصيح: عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) تح: عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد – بغداد، ط / ١٣٩٥، ١ هـ – ١٩٧٥ م.

١٢. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، ط /١٩٨٥ م.